

القضية الفلسطينية في شعر فيض أحمد فيض

الحافظ عبدالماجد

قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، بمالبور

Abstract:

The Palestine issue is a very important issue all over the world and it is not important only for the Arabs but also for all the Muslims. The Urdu poet Faiz Ahmad Faiz has participated in Palestine issue in his poetry. Faiz Ahmed Faiz (1911–1984) was a renowned Pakistani intellectual poet and one of the most famous poets of the Urdu language. He did his BA (Hons) in Arabic (1931) and an MA in (English 1933) from Government College Lahore. In 1934, he obtained his Master's Degree in Arabic from Oriental College, Lahore and in the following year he worked as a lecturer in English for a short time in M.A.O. College, Amritsar. He was a member of the Anjuman Tarraqi Pasand Mussanifin-e-Hind (All India Progressive Writers' Movement) and an avowed Marxist. In 1962, he was awarded the Lenin Peace Prize by the Soviet Union. He had good relationship with the Palestinian leader Yasir Arafat, and his last poem were almost about the Palestine issue and her Liberation. His poetry has been translated into many languages including Arabic, French, Russian, Persian, Hindi, Japanese, Hungarian and English. Faiz returned to Lahore in November 1983 and died on November 20, 1984.

Key words: Palestine issue, Faiz Ahmad Faiz, Urdu peotry

إن الأديب والشاعر يترجم حياة قومه في الأدب والتعليم والمجتمع البشري فهو لا يحس شيئاً إلا أذاعه ولا يشعر بشيء إلا أعلنه، وإذا نظر في كتاب أو خرج للنزهة، أو تحدث إلى الناس فأثر شيء من هذا في نفسه أو في خواطره أو بعث في قلبه عاطفة من العواطف أو حث عقله على الروية والتفكير لم يسرح ولم يطمئن ولم يرتح باله حتى يقيد هذا الرأي، أو تلك العاطفة أو ذلك الخاطر في دفتر من الدفاتر أو على قطعة من القرطاس.

لقد كانت مأساة فلسطين معيناً لا ينضب وينبوعاً لا ينفد، يمد الأدباء والشعراء-ليس في فلسطين فقط بل في جميع الأقطار العربية والأجنبية بأروع ما أبدعوا وأعذب ما غنوا.

فمأساة فلسطين جرح متجدد الألم في كيان الأمة الإسلامية، لكونها جزءاً من ديار الإسلام، ولأنها الأرض المقدسة المباركة، مهبط الرسالات، وملتمقى النبوات على امتداد التاريخ.

وقد شغلت القضية الفلسطينية الشعراء واستقطبت اهتمامهم. وبخاصة بعد نكبة (1948م) وما نجم عنها من تشريد وهجرة ومذابح دامية للشعب الفلسطيني المسلم، فانبرى الشعراء يصورون تلك الفاجعة وإحساسهم إزاءها. وفي عام (1967م) جاءت النكبة الثانية، فاستولى العدو الصهيوني على جملة أراضي فلسطين وعلى أجزاء أخرى من الأراضي العربية، فهزت هذه الكارثة مشاعر المسلمين هزة عنيفة، أيقظتهم من غفلتهم، وعمقت في نفوسهم الإحساس بخطورة المؤامرة التي تستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين، وتساعد هذا الإحساس ونما مع الصحوة الإسلامية. فبرز صوت الشاعر المسلم الملتزم الواعي، ليبازر الأصوات الأخرى ذات الاتجاهات البعيدة عن التصور الإسلامي الصحيح لحقيقة المعركة.

فمنذ تاريخ النكبة حتى يومنا الحاضر ظلت القضية الفلسطينية القضية

الكبرى التي تشغل العالم الإسلامي، وتشغل المكان البارز في الصراع الدولي، نظراً لخطورتها، ولعدم استطاعة العالم أن يجد الحل المناسب لها. ولذلك كتب على الشعب الفلسطيني-خاصة- والشعوب الإسلامية-عامة- أن تحمل السلاح جهاداً في سبيل الله، ودفاعاً عن كرامة مضاعة وحرية مسلوقة وحق منتزع. إن القضية الفلسطينية قد حظيت باهتمام كبير في الأدب الأردني خصوصاً الشاعر الأردني فيض أحمد فيض قد أنشد أشعاراً في اللغة الأردنية حول قضية فلسطين.

يعد فيض أحمد فيض من كبار شعراء الأردنية في القرن العشرين، ولد في سيالكوت عام 1911م، حيث تلقى تعليمه الابتدائي. انتقل بعد ذلك إلى لاهور لتكميل دراسته، وهناك حصل على درجة الماجستير في اللغة العربية والإنجليزية. عمل محاضراً للأدب الإنجليزي في الجامعة الإسلامية بالهند، كما عمل كعميد لإحدى الكليات في كراتشي، ثم عمل مشرفاً عاماً للمركز القومي للفنون بإسلام آباد بباكستان، وتوفي عام 1984م. (1)

كان والده "خان بهادر سلطان محمد خان"، ولقد تربى فيض منذ صغره في بيئة أدبية مما جعله ينظم الشعر أثناء دراسته بالجامعة، وكانت هذه هي بداية قرضه للشعر. بطبيعة الحال كان شعره آنذاك يتناول الموضوعات الشعرية التقليدية، إلا إنه بعد أن أصبح من رواد الحركة التقدمية عالج العديد من الموضوعات إلا إنه اختلف كثيراً عن باقي شعراء الحركة، فلقد ابتعد كثيراً عن الأسلوب الخطابي والدعائي. فإن فيض كان أحد رواد الحركة التقدمية التي أسست عام 1935م، وله فيها الكثير من الإسهامات، وكان أساس شعره تلك الموضوعات التي تدعم الحركة التقدمية، ومع هذا يمكن تقسيم موضوعات شعره إلى موضوعات رومانسية، وأخرى سياسية، وثالثة اجتماعية، كما كان له حظ في الموضوعات الإنسانية. (2)

ومما يميز شعر فيض تنوع موضوعاته فلقد تناول استغلال الأغنياء للفقراء، والاحتكار الغير المشروع للطبقة الرأسمالية، كما انتقد مساوئ الصراع

الطبقي الاجتماعي.

لم يتناول فيض المشكلات المحلية لبلاده فقط، بل وتناول أيضاً قضايا عالمية كالقضايا الإنسانية في أفريقيا، والتفرقة العنصرية، والهجوم الأمريكي على فيتنام، كما تناول أيضاً القضايا العربية كالاغتيالات الإسرائيلية على لبنان والحرب على بيروت، والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. وبذلك نجد أن نظم فيض لم يكن فقط ذا أثر على أبناء وطنه بل نال أهمية واسعة عند أصحاب اللغات الأخرى، مما أدى إلى ترجمة أعماله إلى اللغة الإنجليزية ولغات أخرى عديدة. (3)

بالإضافة إلى كونه شاعراً، فلقد كان لفيض عدة كتب في النشر منها كتاب (ميزان) وهو كتاب يحوي مجموعة من المقالات النقدية، وكتاب آخر بعنوان (متاع لوح و قلم) وهو عبارة عن مجموعة من المقالات الشعرية. أما عن الشعر فلقد كان لفيض عدة مجموعات شعرية وهي (نقش فريادي)، و(دست صبا)، و(زندان نامه)، و(دست نه سنگ)، و(سر وادي سينا)، و(شام شهرياران). ولقد طبعت هذه الأعمال الكاملة في كتاب واحد. (4)

هذا بالإضافة إلى الحبسيات التي كتبها فيض أثناء الفترة التي قضاه في السجن، حيث اهتم في إحدى القضايا السياسية مع آخرين من أدباء الحركة التقدمية.

وعلى الرغم من قلة غزليات فيض إلا أن اسمه بارز في أوساط كُتّاب الغزل. كما برع في كتابة الشعر الحر، والشعر المرسل. (5)

نال فيض أحمد فيض العديد من الجوائز، وكانت أكبر هذه الجوائز هي جائزة (لينين) من الاتحاد السوفيتي السابق.

أما شعر "فيض أحمد فيض" حول قضية فلسطين، فقد خص فلسطين وشعبها والعرب والصراع الدائم بينهم وبين الإسرائيليين بعدد من منظوماته التي تعد من أحسن ما قيل في شعر المقاومة باللغة الأردية فيما يتعلق بالقضية

الفلسطينية ، يقول في منظومته الشهيرة "ويبقى وجه ربك":

ہم دیکھیں گے

لازم ہے کہ ہم بھی دیکھیں گے وہ دن کہ جس کا وعدہ ہے
 جو لوح ازل میں لکھا ہے جب ظلم وستم کے کوہ گراں
 روئی کی طرح اڑ جائیں گے ہم محکوموں کے پاؤں تلے
 جب دھرتی دھڑ دھڑ دھڑ کے گی اور اہل حکم کے سر اوپر
 جب بجلی کرکڑ کرکڑ کے گی جب ارض خدا کے کعبے سے
 سب بت اٹھوائے جائیں گے ہم اہل صفا، مردود حرم
 مسند پہ بٹھائے جائیں گے سب تاج اچھالے جائیں گے
 سب تخت گرائے جائیں گے بس نام رہے گا اللہ کا
 جو غائب بھی ہے حاضر بھی جو منظر بھی ہے ناظر بھی
 اٹھے گا ((أنا الحق)) کا نعرہ جو میں بھی ہوں اور تم بھی ہو
 اور راج کرے گی خلق خدا جو میں بھی ہوں اور تم بھی ہو(6)

المعنى:

سنرى ولا بد يوماً أن نرى....

ذلك الوعد المكتوب في اللوح منذ الأزل....

حينما تطير جبال الظلم كالعهن المنفوش....

حينما تنبض الأرض تحت أقدامنا نحن المحكومين....

وفوق رؤوس أهل الحكم سوف يرعد البرق....

حينما يتم تطهير كعبة الله من الأصنام....

ونحن أهل الصفا مردودو الحرم سنجلس فوق كرسي الحكم....

سوف يطاح بكل العروش وسوف تسقط كل التيجان....

ولا يبقى إلا اسم الله الباطن الظاهر....

المشهود والشاهد....ويرتفع هتاف " أنا الحق.... " وهو أنا ، وهو أنت ،....ويكون الحكم لخلق الله.... وهم أنا وأنت

إن الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم المصري ترجم وجمع هذه المنظومة كالتالي بلغة وأسلوب هو إلى الشعر أقرب تأثيراً :

قسماً بمن خلق الورى	بأنا عاجلاً سنرى
يوماً ينال عدله	من جار يوماً وافترى
ونرفع فيه رأسنا	في عزّ من بلغ الذرى
***	***

قد كان وعد ربنا	في اللوح محفوظاً لنا
ووعده الله نافذ	من ذا سواه نصيرنا
وليّ من فقد الولي	رغمت أنوف عدونا
***	***

يوماً ستفنى النقوش	يوماً ستسقط العروش
وجبال الظلم في الفضا	تطير كعهن منفوش
ولن تغني عن ظالم	إذ ذاك جند وجيوش
***	***

ستميد غيظاً أرضنا	تحت عروش المعتدنا
وترعد غضبي سماؤنا	فوق رأس الظالمينا
وتقرّ عين شعوبنا	نصراً وفتحاً مبينا
***	***

وتظل كعبة ربنا	في أرضه عزّ لنا
من الأصنام طاهرة	فداؤها دماؤنا
أهل الصفا أنت وأنا	ولن يطول صبرنا

*** **

ولا يبقى سوى ربّي
باطن ظاهر أبداً
و"أنا الحق" نرفعها
نور العين والقلب
شاهد الخلق هو حسبي
تقودنا على الدّرب.

*** **

ويزرع فيض أحمد فيض الأمل في نفوس المجاهدين الفلسطينيين والعرب
والمسلمين من خلال منظومة له بعنوان "إلى الشهداء الفلسطينيين الذين
استشهدوا في الغربة" فيقول:

فلسطيني شهداء جو پردیس میں کام آئے

میں جہاں پر بھی گیا ارض وطن
تری حرمت کے چراغوں کی لگن دل میں لئے
تیرے نارنج شگوفوں کی مہک ساتھ گئی
کتے ہاتھوں سے ہم آغوش مرا ہاتھ رہا
اجنبی شہر کی بے نام و نشان راہوں میں
لہلہاتا ہے وہاں ارض فلسطین کا علم
تیری تذلیل کے داغوں کی جلن دل میں لئے
تیری الفت، تری یادوں کی کک ساتھ گئی
سارے ان دیکھے رفیقوں کا جلو ساتھ رہا
دور پردیس کی بے مہر گزر گا ہوں میں
جس زمین پر بھی کھلا میرے لہو کا پرچم
تیرے اعدا نے کیا ایک فلسطین برباد
میرے زخموں نے کئے کتنے فلسطین آباد (7)

المعنى:

إلى الشهداء الفلسطينيين الذين استشهدوا في الغربة
حيثما يعمت وجهي يا أرض الوطن.... حملت في قلبي آلام حرقه إذلالك....
وضوء مصابيح كرامتك.... ترافقني ذكرياتك ومحبتك....
وروائح براعمك.... وصورة رفاقي الذين لم أرهم....
كم من الأيدي احتضنتهم يدي.... بعيداً في دروب الغربة القاسية....
في طرقات مجهولة لمدينة أجنبية.... وعلى كل أرض رفرف علم دمي....
رفرف هناك أيضاً علم فلسطين.... فلئن حُرّب أعداؤك فلسطيناً....

فقد عمّرت جراحی أكثر من فلسطين

إن الشاعر فيض أحمد فيض أنشد كلامه "فوق وادي سینا" بعد حرب العرب والإسرائيل في عام 1967م فبدأت الإضافة في رغبته بقضية العرب حيناً بعد حين حتى تم تعيينه من حيث رئيس التحرير لمجلة "تونس" التي انتقل مكتبه إلى "بيروت"، علماً أنه كان هناك صلات شخصية بين عرفات وفضل أحمد فيض، فإنه كتب رسالة على موته حيث كتب فيه كلمات التبريك واعترف بخدماته. (8)

وفي منظومة له بعنوان "فوق وادي سینا" يحذر فضل أحمد فيض الحكام من التهاون في حق الشعوب والأوطان بما يؤدي إلى ضياعها أو جزء منها، وهو ما حدث إثر هزيمة العرب في نكسة يونيو 1967م حيث ضاعت فلسطين وأجزاء من فلسطين. (9)

إن مجموعة كلام فضل أحمد فيض "مرے دل مرے مسافر" كتاب تذكاري حيث يشير إلى قيامه ببيروت وسمى اسمها باسم/ ياسر عرفات حيث كتب فيه القصائد وخاطب بيروت وأهل فلسطين. وإنه توجد آثار الهم والحزن الشديد في قصيدته التي أنشدها بعد تدمير بيروت وجلاء أهل فلسطين:

لوٹ کر آکے دیکھا تو پھولوں کا رنگ جو کبھی سرخ تھا، زرد ہی زرد ہے
اپنا پہلو ٹولا تو ایسا لگا دل جہاں تھا وہاں درد ہی درد ہے
گلو میں کبھی طوق کا واہمہ کبھی پاؤں میں رقص زنجیر (10)

المعنى:

عندما رأيت بعد الرجوع فكان لون الأزهار
الذي كان الأحمر في الماضي (والآن) أصفر بتمامه
عندما فحصت جنبي فحسست
أن هناك ليس بمكان القلب إلا الوجع

أحياناً وهم الطوق في العنق
وأحياناً (وهم) السلاسل في الأقدام
وفي كلامه الإظهار بحسن النظام والترتيب على طراز هذا الفكر. وفي
اللحظات الأخيرة من حياته نسب حياته الشعرية والفكرية والعملية إلى حرية
فلسطين حتى وصل إلى العاقبة بهذا الإتقان ويقول:

ایک ترانہ مجاہدین فلسطین کے لئے

ہم جیتیں گے	حقاً ہم اک دن جیتیں گے
بالآخر اک دن جیتیں گے	کیا خوف زیلغار اعداء
ہے سینہ سپر ہر غازی کا	کیا خوف زیورش جیش قضا
صف بستہ ہیں ارواح الشداء	ڈر کا ہے کا
ہم جیتیں گے	حقاً ہم جیتیں گے
قد جاء الحق وزهق الباطل	فرمودہ رب اکبر
ہے جنت اپنے پاؤں تلے	اور سایہ رحمت سر پر ہے
پھر کیا ڈر ہے	ہم جیتیں گے
حقاً ہم اک دن جیتیں گے	بالآخر اک دن جیتیں گے (11)

المعنى:

النشيد للمجاهدين في فلسطين

سنجح	سنجح يوماً حقاً
سنجح يوماً في النهاية	نحن لا نخاف من عدد الأعداء
كل غاز قائم أمام الأعداء بالشجاعة	نحن لا نخاف الموت
أرواح الشهداء في الصفوف	سنجح
سنجح يوماً حقاً	قد جاء الحق وزهق الباطل
قول الله تبارك وتعالى	الجنة تحت أقدامنا
وظل الرحمة على رؤوسنا	ليس عندنا الخوف

سننحج

سننحج يوماً حقاً

سننحج يوماً في النهاية

إن الشاعر الأردني المعروف "فيض أحمد فيض" أسلوب شعره ممتاز لإظهار المنهج الفكري وشعره يبقى شعراً أساسياً يعبر عن النظريات والسياسة والمسائل البشرية وبهذا السبب إن فيض قد أصبح شهيراً في حلقات بيروقراطية، وعالم الصناعة والمهاجرين السيف والسنان كما كان شهيراً لدى حلقات العمال والمزارعين والطلبة وأصحاب الفكرة. وكان لا يحتاج إلى التأمل والتغيير أو التعديل نظراً إلى المصالح عند إلقاء شعره أمام أية حلقة من السامعين.

السلطة الخارجية في الهند، الجهود للحرية، الفراق وقرب المحبوب، الفرحة ومؤلفة قلوب المواطنين جزء أساسي لشعر فيض أحمد فيض ولكن غير ذلك أنه قد كتب المنظومات التي لا مثيل لها، على بعض الوقائع المهمة للغاية في عهده المتعلقة بأقوام عالمية، من "باسم الطلبة الإيرانية" إلى حرب بين العرب والإسرائيل ومحاولات الحرية للفلسطينيين.

إن فيض كانت لديه معرفة تامة عن النزاعات بين الظالم والمظلوم من الأقسام العالمية كما هو سافر شخصياً إلى دول عديدة، وقد كان يلتقي مع أصحاب القلم الشهيرين في اجتماعات عالمية من الدول التي زارها. كما كان لديه وسيلة لأخرى لمعرفة الحقائق وهي المطالعة، مع ذلك كان يملك حساسية لنظر الوقائع في تناظر المعروضية الصحيحة.

إن الحرب بين العرب والإسرائيل هي قضية مهمة في دورنا، وتنظر وتفهم وتقدم لدينا عن نواحيه المختلفة، علماً بأن "فيض أحمد فيض" كان له رغبة بقضية فلسطين وكانت لديه معرفة عميقة عن اللغة العربية وأدبها مع حصول على شهادة الماجستير في العربية، بقيت له رغبة مع الأدب العربي إلى آخر وقته، عندما كان يمر أول مرة من صعوبات السحن، فالكاتب التي طلبها من السحن بواسطة زوجته "إيلس فيض" كانت فيها "تاريخ الأدب العربي" لـ نكلسن.

إن فيض أحمد فيض قريب جداً من شعراء العرب المعاصرين وخاصة شعراء المقاومة كما أن الفيض قد أخذ الأساليب الكلاسيكية من الأردنية والفارسية والعربية ومصاحبة الأساليب الغربية الجديدة قد وضع الأسلوب الجديد المنفرد، وأيضا شعراء العرب المعاصرين قاموا بتخليق مزاج شعر الجديد بتقليد الشعراء المفكرين من بلاد الغرب ومن تراجمهم، ومن أشهرهم بدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، ونازك الملائكة، وبسبب نتيجة سيادة هؤلاء الشعراء أصبح مزاج الشعر العربي الجديد، بأن النظم مهما كان موضوعه الحب أو تذكارات الأيام الماضية، أو من موضع الرحمة الداخلية المشتملة على الحساسية الداخلية، توجد فيه بالأساس وبالعلامات الأحوال السياسية، تذكارة الوطن وحزن المهاجرة، أو التفاخر واليقين على مساعي شخصية كظل ممتاز لازماً. إن الشعراء العرب الجدد يحسون من تراجم فيض أحمد فيض كما أن فيض أيضاً منهم، ثم اقتربه الأجزاء المشتركة الأخرى بقضية فلسطين حيث بيان الشعراء يشعرون بعضهم بعضاً المتحددين في الفكرة مع أنهم كانوا من بلاد مختلفة.

أثناء وجوده في بيروت قد أحس فيض أحمد فيض طعم الجهود الحقيقية في الجسد كله، ويشهد لذلك منظوماته التي حررها في جهود الفلسطينيين في مجال الحرية.

إن فيض أحمد فيض فقد خص فلسطين وشعبها والعرب والصراع الدائم بينهم وبين الإسرائيليين بعدد من منظوماته التي تعد من أحسن ما قيل في اللغة الأردنية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وشعره عامر بمثل هذه النماذج المتميزة موضوعاً وفناً.

الهوامش والمصادر

1. فتح محمد ملك، فيض: شاعري اور سياست، ص: 19، سنك ميل بيلي كيشنز، لاهور، 1988م. (فيض: الشعر والسياسة للدكتور فتح محمد ملك، صفحة رقم: 19، طبع من سنك ميل للنشر، لاهور عام 1988م)

2. www.wikipedia.org
3. د. سليم أختز، اردو ادب كي مختصر ترين تاريخ، ص: 557، سنك ميل بيلي كيشنز، لاهور، 2005م. (الموجز في الأدب الأردني وتاريخه للدكتور سليم أختز، صفحة رقم: 557، طبع من سنك ميل للنشر، لاهور، عام 2005م)
4. د. أنور سديد: اردو ادب كي مختصر تاريخ، ص: 439، سنك ميل بيلي كيشنز، لاهور. (الموجز في الأدب الأردني وتاريخه للدكتور أنور سديد، صفحة رقم: 439، طبع من سنك ميل للنشر، لاهور)
5. د. نصرت شودهري: فيض كي شاعري ايك مطالعه، ص: 43، شان بيلشغ هاؤس، سري نكر، كشمير، 1985م. (الضوء على شعر فيض للدكتور نصرت شودهري، صفحة رقم: 43، طبع من مطبعة شان للنشر والطباعة، سري نكر، كشمير عام 1985م)
6. اشفاق حسين - فيض احمد فيض : شخصيت اور فن - اكاامي ادبيات باكستان - إسلام آباد 2006م - ص 198 ، 199. (فيض أحمد فيض: الشخصية والفن لـ إشفاق حسين، طبع من منظمة باكستان الأدبية، إسلام آباد، 2006م، صفحة رقم: 198-199) وقد كتب فيض هذه المنظومة أثناء وجوده في أمريكا، وطبعت في مجموعته " مريد دل مريد مسافر: قلبي أيها المسافر "، ولكنها لم تطبع في كلياته " نسخه هاؤ وفا. "
7. المرجع السابق - ص 202.
8. شاهد ماهلي، فيض أحمد فيض: عكس اور جهتين، ص: 382، معيار بيليكشنز، نيو دهلي. (فيض أحمد فيض: العكس والجهات للسيد شاهد ماهلي، صفحة رقم: 382، معيار للنشر، دهلي جديد)
9. اشفاق حسين - فيض احمد فيض : شخصيت اور فن - اكاامي ادبيات باكستان - إسلام آباد 2006م - ص 155. (فيض أحمد فيض: الشخصية والفن للسيد إشفاق حسين، طبع من منظمة باكستان الأدبية، إسلام آباد، 2006م، صفحة رقم: 155)
10. شاهد ماهلي، فيض أحمد فيض: عكس اور جهتين، ص: 382، معيار بيليكشنز، نيو دهلي. (فيض أحمد فيض: العكس والجهات للسيد شاهد ماهلي، صفحة رقم: 382، معيار للنشر، دهلي جديد)
11. فيض أحمد فيض: نسخه هاؤ وفا، ص: 282، مكتبه كاروان، كجهري رود، لاهور. (ديوان فيض أحمد فيض: نسخه هاؤ وفا، صفحة رقم: 282، مطبعة كاروان، شارع كجهري، لاهور)